دراسة تحليلية في الظاهرية وبعض المصطلحات الهوسرلية

د. خالد أحمد السباعي
كلية الآداب - جامعة مصراتة
k.sebaie@art.misuratau.edu.ly

تاريخ الاستلام 2022.02.22 تاريخ النشر 2022.06.01

الملخص:

حظيت النزعة الظاهرية منذ انبلاجها باهتمام كثير من البحاث المتخصصين بالفلسفة والذين يؤرخون لها على حدٍ سواء، لذا قُدِمت الكثير من التعريفات والشروحات لها، وكلها تتفق على أنها نزعة محورها الرئيس دراسة التجربة الإنسانية وعلاقتها بالموجودات أو الأشياء التي تفرض على الوعي الإنساني من خلال تلك التجربة، وآليتها الفكر بكونه مشروعها الوصفي الذي يحدد البِنى التي من شأنها تمييز ذلك الوعي والعالم الذي يحيط به كما يبدو للتجربة وتختبره، ولذلك لم تكن موضوعًا للفلسفة فحسب بل هي موضوع لعلم النفس من جهة ما يجري للعقل حينما يخضع لمؤثر خارجي، كما أنها موضوع لعلم الاجتماع الذي يبحث في الظاهرة الاجتماعية انطلاقًا من الفعل الفردي بالمعنى الذي ذهب إليه "ماكس فيبر" "M.Weber"، وصولًا لكونها في العموم تجربة شخصية داخلية تجري من خلال القوى الإدراكية الواعية للمرء، ومن ثم أسئلتها التي تمر من خلالها والمنهج التي تنتهجه يعقبه عرض لمصطلحات فينومينولوجية هوسرلية.

الكلمات المفتاحية: الظاهرية، الوعي، البنى، متعال، الاستبطان، الرد.

Analytical study of phenomenology and some Husserlian terms

Khaled Ahmed Sebaie
Faculty of Art, Misurata University, Libya

Abstract:

The phenomenological tendency, since its inception, has attracted attention of many scholars specializing in philosophy and those who chronicle it alike, therefore, many definitions and explanations have been provided for it, all of

which agree that it is a tendency whose main focus is the study of the human experience and its relationship to the objects or things that are imposed on human consciousness through that experience, its mechanism is thought as its descriptive project, which identifies the structures that distinguish that consciousness and the world around it as it appears to experience, thus, it was not only a subject of philosophy, but a subject of psychology in terms of what happens to the mind when it is subject to an external influence, it is also a subject of sociology which studies the social phenomenon starting from the individual action in the sense that "Max Weber" held, right through to the fact that it is in general an internal personal experience that takes place through one's conscious perceptual powers, and then its questions that pass through it and the method it follows is followed by a presentation for Husserlian phenomenological terms.

Keywords: Phenomenology, Consciousness, Structures, Transcendence, Introspection, Reduction.

مقدمة:

تعد الفينومينولوجيا أو النزعة الفلسفية الظاهرية في المقام الأول "علما" حسب تعريف هوسرل لها يدرس خبرة الوعي التي تراكمت بفعل خبرته بالظواهر التي تفرض عليه انطلاقًا من كونها مُحايثة لوعيه، وخبرته هذه تتمثل في المعرفة التي هي ما يكتسبه المرء من خبرات ومهارات تظل تعتمل في الذهن محدثة فيه فعاليّة مُثرية يستفيدها المرء كلما وجد نفسه إزاء ما يتطلب التحليل والتركيب والاستقراء والمقارنة والاستنتاج بما يفضي لإصدار حكم أو وضع تصور للموضوع المراد معالجته، وكباقي الفلسفات للفينومينولوجيا مصطلحاتها التي تقدمها وتتقدم من خلالها ويتم فهم معناها بفهم تلك المصطلحات، وعليه ففهم مصطلحاتها على قدر أهمية فهم الفلسفة الفينومينولوجية ذاتها، لذلك نحاول الوقوف على معاني بعض مصطلحاتها الهوسرلية بالمعنى الذي وجه إليه هوسرل وأراده لها، وذلك نظرًا لفقر الدراسات التي تتناولها بشكل خاص والتي تتناول مصطلحات الفلسفة بشكل عام، ومن ثم كان لزامًا الخوض في تناول مصطلحات هذه الفلسفة الظاهرية كونها تمثل هويتها وتقدم الأساس الذي تؤسس عليه مصطلحات فينومينولوجية تالية لها، وحتى تنجز الدراسة مهمتها التي تتصدى لها كان لزامًا أيضًا تبيان كنه النزعة الفينومينولوجية ابتداءً ثم تبيان مكانتها وتعديها للعلوم كعلم النفس وعلم

الاجتماع، والأسئلة التي تمر من خلالها، ثم المنهج الذي تنتهجه أو تتبعه في سياقات بحثها، وأخيرًا نصل لعرض تلك المصطلحات التي هي موضوع الدراسة.

مشكلة البحث:

يتناول هذا البحث النزعة الفينومينولوجية إلى جانب بعض المصطلحات الهوسرلية بالدراسة والتحليل، وذلك لاستقصاء سياقها الفلسفي الذي ارتبط فيما بين ما هو "جواني" باطني صلته مباشرة بمدركات الإنسان ووعيه، وما يبدو موضوعًا لها مما هو خارج عن الإنسان وماثل أمام مستقبلاته الحسية من حيث كونه ظاهرة لمعنى تعنيه الظاهرية، فهل كانت اصطلاحات هوسرل كافية لفك ذلك الغموض وإماطة اللثام على تلك النقطة في ظلمة الوعي؟

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من أهمية موضوعه لما كان يسعى للوقوف على معانيه ومضامينه، بما أن كل محاولة للوقوف على معاني مصطلحات فلسفة ما هي في مداها الأبعد إلاّ وقوف على هويتها وطابعها الذي يميزها عن غيرها من الفلسفات، في الوقت الذي تمثل معرفة مصطلحاتها بدقة تحديدًا لآليتها وطريقة بحثها، ومن ثم استلهام السبيل الذي يمكننا من الاستفادة منها.

أهداف البحث:

هدف عام، ويتمثل في إضفاء الثراء على البحث الفلسفي في مجال المصطلحات الفلسفية الذي يفتقر لكشف مجاهله، وهدف خاص يتمثل في محاولة الوقوف على معانٍ لمصطلحات الفينومينولوجيا الهوسرلية، وبحث كيفية إلمامها لما صِيغت من أجله ضمن ثلاثية الموجود البشري بما أنه ذات موجودة في الزمان والمكان متفاعلة بين باطنها وخارجها، ثم بحث كيفية توظيف هذه الأبعاد ضمن الطرح الفينومينولوجي في فهم ذواتنا وإبراز الغامض منها.

منهج البحث:

يرتبط منهج البحث ارتباطًا وثيقًا بموضوع الدراسة لمناسبته له، وهو المنهج التحليلي التركيبي المتمثل في تحليل المصطلح بما يكفل استنتاج مضمونه، كما استخدم المنهج التاريخي أحيانًا نظرًا لما يقتضيه تتبع تاريخ المصطلح إذ لكل مصطلح تاريخه الخاص به، مع اللجوء أحيانًا للمنهج المقارن متى اقتضى الأمر ذلك.

النزعة الفينومينولوجية أو الظواهرية:

الفلسفة الظاهرية هي فلسفة فهم الذات المراقبة لذاتها "الذاتية" "Subjectivity" من جهة، وإلى ما حولها وما تتشارك فيه"Intersubjectivity" مع غيرها في الحياة اليومية "العالم" من جهة ثانية، في محاولة للوصول لفهم سليم ورؤية صائبة تكشف حقيقة العالم، على أن الشرط الاساس في ذلك وفقًا لهوسرل هو أن نتجرد من جميع تصوراتنا "المسبقة" "Preconception" التي ورثناها أو تبنيناها ورانت على قلوبنا وكانت نتيجتها أن غرست فينا رؤى مشوهة بعيدة عن الحقيقة والواقع.

ومصطلح "الفينومينولوجيا" هو الاسم الذي قدمه هوسرل ليعني به البحث في ماهية أو طبيعة الموجودات بغض النظر عما تعنيه من الناحية الوجودية والميتافيزيقية، ليتسع معناها بعد ذلك ولكن تظل التجربة الذاتية الإنسانية محورها الذي تتقوم به، بحيث تصير الفينومينولوجيا تعني دراسة التجربة الإنسانية من جهة، ودراسة للطرق التي تقدم بها الأشياء نفسها إلينا في تجربتنا ومن خلالها، إنها محاولة لتلمس الأثر الفلسفي الموروث من أفلاطون، ولكن ليس بالمعنى الذي نفهم منه أنها مجرد إحياء للقديم، بقدر ما ينبغي أن تكون أداة لمجابهة ما يواجه الفكر الحديث، بحيث تصير تنشيطًا وإثراءً للحياة الفلسفية المعاصرة.

"Phenomenology is the study of human experience and of the ways things present themselves to us in and through such experience, it attempts to restore the sense of philosophy one finds in Plato. It is, moreover, not just an antiquarian revival, but one that confronts the issues raised by modern thought. It goes beyond ancient and moderns and strives to reactivate the philosophical life in our present circumstances"[1].

ومن الناحية التاريخية فإن مصطلح "فينومينولوجيا" مشتق بالأساس من الكلمة اليونانية التي تعني المظهر "Appearance"، وقد صِيغ لأول مرة على صورته التي نعرفه بها اليوم إبان القرن الثامن عشر، وكان في البداية قد ظهر في "نظرية الوهم بالألوان" "The Illusion Theory of Colors" الفيزيائية، ليأخذ معناه بعد ذلك بُعدًا آخرًا في الفلسفة حينما وظفه "كانط" "Kant" ومن بعده "هيجل" "Hegel" ليستقر من بعدهم عند هوسرل، أما كانط فقد عني

1- Sokolowski, R., Introduction to phenomenology. Cambridge Cambridge. 2000, p.2.

بالفينومينولوجيا دراسة "الظواهر" "Phenomena" التي كان يقصد بها الأشياء أو الموجودات الواقعية والحقيقية وكذلك تلك المحتملة التي تتعلق بالتجربة الإنسانية، من منطلق أنها موجودات مختلفة عن "النومينا" "Noumena" أو "الشيء –في– ذاته" "Thing-in-itself" والتي هي ترجمة عن الألمانية لعبارة "Ding-an-sich" والتي تعني الشيء المخفي وغير المعروف، فيما قصد "هيجل" بالمصطلح دراسة الأشكال المختلفة التي اتخذها الوعي في التاريخ عبر طريق معرفة العقل المطلق لنفسه ضمن نظريته في المطلق، التي نسب فيها الوجود المنطقي للمطلق أو الكلي.

أما مع هوسرل صار مصطلح "الفينومينولوجيا" اسمًا لنزعة أو اتجاها فلسفيا مثيرًا للجدل لما يتسم به من سمة أو نهج يوصف بأنه "متعال" "Transcendency"، لم يرق لكثيرٍ من المهتمين بالفلسفة، ووفقًا له فإن "الفينومينولوجيا" هي نهج يقوم على فكرة أن جوهر الظواهر في العُلوم الإنسانية هو الوصف "الفينومينولوجي"، أي "الظواهري" للجوانب الثابتة كما تتبدى أو تظهر للوعي الإنساني.

1– الفينومينولوجيا وعلم النفس:

كان هوسرل قد بلور في أعماله التي قدمها ما بين سنة 1910م وحتى سنة 1920م، حيث ناقش مسألة طرح اهتمامات الفلسفة التقليدية جانبًا كالميتافيزيقيا و"نظرية المعرفة" "Epistemology"، وكذلك "السببية العلمية"، وإيلاء الاهتمام بدلًا منها ببحث طبيعة التجربة الواعية المباشرة، وبحث ظروفها من حيث توالي الأحداث الذهنية "العقلية" وإضفاء الوصف الدقيق عليها ليتسنى من بعد ذلك وصفها بالمصطلحات الخاصة بها التي تتفق معها تمامًا، طبعًا بمعزل عن علاقتها بالبدن أو العالم الخارجي، وهنا قد تبدو تبعًا لعلم النفس معنى ما مما يعنيه "الاستبطان" "Introspection" إلاّ أن الأمر ليس كذلك، لكون "الفينومينولوجيا" معنية ببحث علاقة "أفعال الوعي" والهدف من وراء تلك الأفعال، وهذا ما جعل نهج هوسرل يروق لمذهب علم نفس "الجيشتالت" "Gestalt" الذي يعني بفلسفة العقل، وهو المنهج الذي تعتمده كلية "برلين" لعلم النفس التجريبي، وكذلك وجد صداه عند القائمين على بحث العُلوم الاجتماعية.

ومن المفيد هنا أن نذكر ما كان هوسرل نفسه يصف به "الفينومينولوجيا"، حيث وصفها بأنها "علم نفس وصفي" معتبرًا ذلك بالنسبة لها كفريضة أولى عليها القيام به، ونجد ذلك في مؤلفه

"التحقيقات المنطقية" "Logische Untersuchugen" الذي نشره عام 1900م، حيث يصفها بأنها "تحليل وصفي للعمليات الذاتية" "A descriptive analysis of subjective processes".

"Phenomenology is descriptive psychology. Epistemological criticism is therefore in essence psychology, or at least capable of being built on a psychological basis"[2].

لكن ما تختلف فيه "الفينومينولوجيا" عن علم النفس هو أن الأخير يضع القوانين السببية أو الجينية التي تشرح ما تصفه الظواهر فقط، فيما "الفينومينولوجيا" تميز بين ما هو موضوعي عن ما هو ذاتي، ولا تلقي اهتمامًا بنشأة الظواهر الذاتية من حيث علاقتها بالظروف البدنية والبيئية، لذلك تداخلت "الفينومينولوجيا" كثيرًا مع علم النفس مما عرضها لكثيرٍ من الهجوم والنقد، ونجد دفاعًا قد دفع به "شبيجلبرج" "Spiegelberg" انطلاقًا من كون علم النفس معني بالنمو البدني والمعرفة والعاطفة والشخصية، لذلك اعتبر "الفينومينولوجيا" مصدرًا مهمًا لتوضيح الدراسات النفسية، واستنتج من ثم أن "الفينومينولوجيا" برمتها تعد دراسة للظواهر الذاتية، بالمعنى الذي تكون فيه مواضيعها مصبوغة بالذاتية[3]، فكل الظواهر هي ذاتية لما كانت معانيها تقع في حياة الفرد الداخلية "الجوانية" ودور الباحث هو النظر في الأشياء كما تبدو عليه في الواقع، ثم معالجتها بهمة وعيه مستبعدًا كونها كيانًا موجودًا في الخارج.

والآن لو قلنا هل ثمت اختلاف بين علم النفس الفينومينولوجي الخالص وفلسفة الفينومينولوجيا المتعالية، فإننا نقول إن ذلك يتوقف على الاختلاف الحاصل حول الموقف تجاه موضوع ما بعينه بسبب التشابه الواسع بينهما، ولذلك يؤكد هوسرل على أن الفلسفة الأصلية ليست مستحيلة، ولكنها تكمن من خلال الظواهر المتعالية فحسب، ويعود ذلك لكونها وحدها بذرة أو نواة لا دنيوية للذاتية، وبفضلها كل شيء يدخل دائرة الإمكان يكون محايثًا أو متعاليًا ويبنى من منطلق وصفه موضوعًا مقصودًا بصورة جوهرية.

"The meaning of things is not inherent in objects, but is actually located in the individual's inner life… The research's task is to

2- Hussrel, E. (Logical Investigations), Eng Trans, J.N.Findlay, Routledge, London& New York, VI, 2001, p.96.

3- Spiegelberg, H. The phenomenological movement: A historical introduction. Boston: Martinus Nijhoff, 1959, p.78.

understand reality as it is, actively and consciously created by subjects, not as a pure entity that exists out there"[4].

2- الفينومينولوجيا وعلم الاجتماع:

قد يبدو موضوع "الفينومينولوجيا" مُحاطًا بالغموض في طرحه العام، لكن عندما يتعلق الأمر بعلم الاجتماع نجد اتفاقًا بينها وبينه على الأقل في كون علم الاجتماع معني بالظاهرة الاجتماعية، التي هي في صورتها الأبعد مظهرًا أخذ بُعدًا ما فصار اجتماعيًا، ثم إنه معني بدراسة تلك الحالات التي يتم فيها تطبيق أساليب بحث الظواهر بوتيرة علمية عقلية، لكن لابد لنا هنا أن نشير صراحة أن علم الاجتماع المقصود هنا هو ذلك الذي كان يعنيه "ماكس فيبر" "M.Weber 1864-1920"، الذي كان يفضل أن يشار له بالمؤرخ بدلًا من عالم الاجتماع، فالمعنى الذي كان يُعرِفُ به علم الاجتماع يتمحور حول الفعل الإنساني ومحاولة إيجاد تفسير له من أجل الوصول إلى تفسير سببي لمساره وتأثيراته لما كان كل فعل له دوافعه الاجتماعية، من خلال النظر لفعل الفرد وليس المجتمع كما رأى "أوجست كونت"، وهو بهذا يكون قد استبعد "التصرف" الإنساني الذي يكون من المرء نحو ذاته بمعزل عن الدوافع والتفاعل الاجتماعي، أي ما يبدو من المرء من أفعال جراء التفاعل الاجتماعي مع الآخرين من خجل أو غضب وصرير للأسنان، وربما من تهديد واشارات من يده تعبر عن ذلك وكلها ناتجة عن مشاعر وأحاسيس جوانية "عاطفية" جاشت ضمن إدراك عقلي وتحولت لفعل يوصف بأنه اجتماعي.

"For we certainly believe ourselves to be directly acquainted with another person's joy in his laughter with his sorrow and pain in his tears within his shame in his blushing with his entreaty in his outstretched hands with his love in his look of affection with his rage in his gnashing of his teeth with his threats in the clenching of his fist, and with the tenor of this thoughts in the sound of his words. If anyone tells me that this is not perception [of the emotional itself] For it cannot be so in view of the fact that a perception is simply a complex of physical sensations and that there is certainly on sensation of another person's mind nor any stimulus

4- Davis, K. The phenomenology of research: The construction of meaning in data analysis. Paper presented at the annual meeting of the Conference on College Composition and Communication, 1991, p.5.

from such a source, I would be him to turn aside from such questionable theories and address myself to the phenomenological facts" [5].

ولذلك كانت مهمة علم الاجتماع الفينومينولوجي تبحث في كيفية تفسير ووصف البنى الشكلية لأي موضوع وضع للبحث انطلاقًا من الذات، فكثير من الأفعال يفهمها المرء من خلال ما يبدو أو يظهر على نظيره من أفعال وملامح قد تبدو على وجهه، لأنه عايشها أو جربها ولذلك يُخبِرُها وتُحدِثُ فيه ردة فعل تختلف باختلاف ما بدا له، فقد تُحدِثُ فيه تعاطفًا أو تململًا أو يشتاط لها غضبًا أو ينفر منها أو العكس، ويجري ذلك كله دون أن يرجع لتجربته الجوانية الخاصة، وهذا ما رأى فيه "ميرلوبونتي" "M.Ponty" ما يفسر فكرة "الانتماء" أي انتماء الفرد للآخرين وللعالم من حوله "إني أرى وأدرك حزنًا أو غضبًا على الآخر في سلوكه سواء على وجهه أو يديه دون أن ألجأ إلى الرجوع لتجربتي الداخلية أو معاناتي التي عايشتها من غضب أو حزن، ذلك لأن الحزن والغضب يعدان من أشكال الانتماء إلى العالم غير المنقسم بين البدن والوعي، وقابلة للتطبيق بطريقة متساوية على السلوك الذي يبدو من الآخر من حيث بدنه "الظاهري" "Phenomenal" كما هو الحال في سلوكي الشخصي وما يتمثل لي"[6]، والحقيقة أن أي وعي يمكنه إدراك وعيٍ لآخر كما يمكنه أن يتبناه أيضًا في أي لحظة، ولذلك يحدث التماثل و"التعاطف" "Sympathy" وغيرها بين البشر.

3- آلية الفينومينولوجيا:

مما تقدم يتضح لنا أن الفينومينولوجيا في العموم تجربة شخصية داخلية تتم من خلال قوى المرء الإدراكية الواعية تتضمن تيارًا منظمًا للوعي وتتناول ما نفكر فيه ونحس أو نشعر به من تجارب وكل ما يدور حول هذه التجارب، وهي العمليات التي يفترض هوسرل وضعها بين "قوسين" عندما نُمارس الفينومينولوجيا لكونها تدور حول التجربة ذاتها، فما ينبغي القيام به إلى جانب ذلك هو الطرق التي تقدم بها الأشياء ذاتها إلينا، ولذلك يمكن حصر آلية وظيفتها على النحو التالي:

أولًا: أن نضع كل ما نعرفه عن التجربة بين قوسين.

5- Scheler. M. The nature of sympathy. (P.Health, Trans). London: Routledge and Kegan Paul, 1954, p.260.

6- Meloeau Ponty.M. Phenomenology of Perception. (C.Smith Trans). New York: Routledge, 2002, p.415.

ثانيًا: إمعان النظر في الكيفية التي تبدو بها الموجودات من حولنا.

ثالثًا: محاولة القيام بوصف عام للتجربة ورصد وتدوين تفاصيلها من خلال اختيار الألفاظ الدقيقة والواضحة التي تكفل سهولة العودة إليها بما يضمن سلامة إعادة التجربة.

ما يمكننا أن نستشفه من هذه الآلية في مجمله يدور حول إمكانية إحداث التجربة الإنسانية وكيفية إدراك ما يدور حولنا من أجزاء وكليات مختلفة، بحيث نقدم لها تفسيرًا يوضحها، وعليه، فإن الدراسة الظواهرية تضع وصفًا للمعنى وتقدمه للعديد من الأفراد لما يُعايشونه ويدخل ضمن إطار تجاربهم الذاتية المحضة لمفهوم ما يشتغلون عليه أو ظاهرة معينة يبحثون فيها.

"A phenomenological study describes the meaning for several individuals of their lived experience of a concept or a phenomenon"[7].

ولأنها كذلك، لذلك فهي وصفية على النحو الذي يؤدي إلى تراكم نتائج تخدم البحوث العلمية لما كانت لا تقدم استنتاجات ولا تؤدي إلى نظريات ميتافيزيقية غيبية بعيدة عن الواقع والوقائعيات.

"Phenomenology is descriptive, and thus leads to specific and cumulative results, as is the case with scientific researches; phenomenology does not make inferences, nor does it lead to metaphysical theories"[8].

4- منهج الفينومينولوجيا:

يرى بعضهم أنه ليس للفينومينولوجيا منهجًا حتى يتبع ولهذه الرؤية ما يؤيدها لحدٍ ما، لكن عندما نفكر في الخطاب الفلسفي التقليدي وما يتميز به من تجريد شديد في بعض الأحيان، يتضح بجلاءٍ تام طبيعة المنهج الذي تتبعه الفينومينولوجيا المليء بـ "التعيين" "Concreteness" والتحديد، ويتبلور ذلك في كونها التزاما بالتفكير العملي المرتبط ببحث الكمال في الحياة المعيشية لما كانت الفينومينولوجيا مشتملة على مجموع من الرؤى والمعارف التي هي نتاج الخبرات البشرية، تلك الخبرات التي لن يتم استيعابها تمامًا من خلال المفاهيم المجردة الخالصة والأنساق المنطقية الصارمة التي لا تعمق فهمنا للحياة اليومية، ولن يتعمق إلاّ

7- Creswell, J. W. Qualitative inquiry and research design: Choosing among five traditions. Thousand Oaks, CA: Sage, 2007, p.57.

8- Hussrel, E., The Paris Lectures, 1998, p.x.

بالتجربة التي تجسد الظاهرة اليومية المعاشة، وكل نقطة بداية لتجربة مُعاشة أو نهاية لها هي موضوع لبحث فينومينولوجي، منهجها يقوم على كل تجربة ذاتية يتم النظر إليها بالقياس لما في داخلنا من تجارب، وبحث ما فينا من أسئلة نابعة من صميم وجودنا بحيث تسمح لنا بشيءٍ من التماهي معها بُغية امتلاك ما يجعلنا أكثر خبرة بأنفسنا، فكل خبرة تضاف إلينا هي قيمة مضافة علينا، سواء كانت في محادثة أو مقابلة أو قراءة من صحيفة أو سيرة ذاتية أو اكتسابها من صنعة أو فن أو حتى من حكاية ظريفة أو كل ما من شأنه أن يساعدنا أو يجعلنا أكثر بصيرة.

وإذا أردنا أن نجد لها منهجًا من وجهة نظر فيلسوف ما، فإننا نتحول للفيلسوف "ميرلوبونتي" الذي طرح سؤالًا على صفحات كتابه "ظواهر الإدراك" عن ماهية الفينومينولوجيا، وكانت إجابته متمثلة في أربعة محاور أو خصائص تعد منهجًا لها كما تحدد خصائصها أو لنقل خطوات في الوقت ذاته وهي "الوصف" "Description" و"الرد" "Reduction" والبحث عن "الجواهر" "Essences" و"القصدية" "Intentionality".

مصطلحات الدراسة:

الموقف Attitude:

هو مصطلح يعني به هوسرل اتخاذ الباحث أو المتأمل موقف الوسط بين طرفين، أو المسافة الواحدة من جميع الأطراف، إنه الوضع المحايد أو "الحيادي" Neutral الذي تقصده الأنا الواعية، وهو الموقف البدائي الأول الذي تتخذه الأنا الواعية المتعالية تجاه العالم، وعليه فهو الموقف الطبيعي الأول الذي يكون متضمنًا في كل الأوضاع باستثناء تلك التي تخص الأنا المتعالية في لحظة التعالي الظاهري، أي أنه "رؤية على العالم" "Weltanschaung".

وكان هوسرل قد جلب هذا المصطلح من علم النفس بالأساس، وقد عرضه في محاضرة بـ "فيينا" "Vienna" عام 1935م، بما يعني الحالة التي عليها الوعي تجاه العالم، وعندما قدم تعريفه له عده أسلوبًا حياتيًا للحياة المملؤة بالرغبة مشتملا على توجهات الإدارة والغايات النهائية والمنجزات الثقافية التي جرى تحديد نمطها الكلي.

"Accordingly to Husserl resorts to the term style: Attitude in general means a habituality fixed style of willing life, comprising directions of the will or interests that are prescribed by this style, comprising the

ultimate ends, the cultural accomplishments whose total style is thereby determined"[9].

التقويس أو الوضع بين الأقواس أو الإبوشية Bracketing:

وهو مصطلح يقصد به هوسرل استبعاد الظواهر الخارجية عن الوعي من دائرة الانتباه والقصد، واللجوء للوعي المحض أي وضع العمليات الذهنية المسبقة جانبًا بتعليقها. فالإبوشية هي "التوقف" أو "السلب" أو "الانتظار".

"The positing is 'putting out of action' parenthesized, converted into the modification, 'parenthesized positing'; the judgment simpliciter is converted into the 'parenthesized judgment"[10].

"A form of idealism" وقد تبدو الإبوشية على هذا النحو كما لو أنها "شكل أو "صورة مثالية" ولكن لا يفهم من هذا أنها تفتح باب الشك الديكارتي بقدر ما هي أقرب للنزعة "الشكية" "Skepticism" في العالم الواقعي أو الوجود الفعلي للعالم الطبيعي على نحوٍ ما.

"The Skeptical term 'epoche' conveyed exactly (and more accurately than the Cartesian term 'doubt' what could guarantee that the phenomenological description of a physical object would not be confused with the kind of account that is given by physics:in a phenomenological description of the appearance of an external object one has to abstain from making any claims concerning actual reality have to be bracketed, set aside, left unanswered"[11].

وحتى يتسنى لنا تحصيل ذلك بدقة أكثر نقرأ لهوسرل بأن الإبوشية هي ذلك النهج الجذري الشامل الذي من خلاله أفهم نفسي تمامًا بصفتي "الأنا" بالمعنى "الآنوي" "Egological" من جهة حياتي الواعية الخالصة التي فيها ومن خلالها يوجد العالم الموضوعي بأسره، كل شيء ينتمي إلى العالم بما في ذلك الموجود المقيد بالزمان والمكان، فهو موجود بالنسبة لي بما يعني قبوله قلبيًا لكوني أختبره وأدركه وأتذكره وأفكر فيه بطريقة ما، وأحكم عليه وأقيمه وأرغب فيه أو

9- Freire Paulo, Pedagogy of the Oppressed trans. Myra Bergman Ramos. Continuum Publishing: New York, 1970, p.280.

10- Husserl, E, Ideas Pertaining to A pure Phenomenology and to A Phenomenology. An introduction, Dermot Moran, Cambridge University Press, 1983, p.60.

11- Kung, Guido, "The Phenomenological Reduction as Epoche and Explication" in Elliston, Frederick A and MC Cormick, P (ed.) Husserl, Expositions and Appraisals, 1977, p.340.

ما شابه ذلك، لقد أشار "ديكارت" كما نعرف إلى كل ذلك بـ"الكوجيتو"، فالعالم بالنسبة لي ليس شيئًا آخر على الاطلاق سوى العالم الموجود والقائم والمقبول من قلبي على نحو هذا الكوجيتو "الأنا" الواعي.

"The epoche can also be said to be the radical and universal method by which I apprehend myself purely: as Ego, and with my own pure conscious life, in and by which the entire Objective world exists for me and is precisely as it is for me. Anything belonging to the world, any spatiotemporal being, exists for me – that is to say, is accepted by me – in that I experience it, perceive it, remember it, think of it somehow, judge about it, value it, desire it, or the like. Descartes, as we know, indicated all that by the name cogito. The world is for me absolutely nothing else but the world existing for and accepted by me in such a conscious cogito"[12].

إذن يستقيم القول بأن "إبوشية" هوسرل لا تنكر وجود العالم الحسي رغم "الحكم الذي تعلق" "Parenthesized judgment" أو الذي وضع بين قوسين، فما الذي يسعى إليه هوسرل إذن من وراء الإبوشية؟ الحقيقة أن ما يسعى إليه هو تمكين الأنا من القدرة على امتلاك إمكانية تحديد وصف الخصائص الظاهراتية ليس للوعي فحسب، ولكن أيضًا للعالم الحسي بحيث يشكل عالما ما حولها بأسره في وعيها، وهذه فكرة نجد لها بلورة خاصة في تطور فلسفته اللاحقة فيما يتعلق بالعالم الذي يتشكل داخل الوعي الذاتي للأنا، وعليه يستقيم القول بأن ما يفكر فيه هوسرل عن الإبوشية هو أن الوعي مستقل تمامًا عن "العالم الحسي" "Sensory world".

وهكذا يتضح لنا أن التقويس أو الإبوشية يساعد الذات لاكتشاف إمكانياتها والكشف عن الظاهرة بمعزل عنها، وهذا من شأنه أن يبلغها تقنيات ومعان جديدة تفسح مجالًا واسعًا لأفق أوسع يتيح لها المزيد من الحقائق والانفتاح المباشر في التعامل مع الظواهر، كما تكسف عما تمثله الظاهرة المحضة من مجال للبحث المحايد يصلح أن يكون رافدًا للعديد من العلوم حتى تمضي قدمًا في أبحاثها لتحقيق مكاسبها العلمية والعملية.

12- Husserl, E., Cartesian Meditations: An Introduction to Phenomenology, translated by Dorion Cairns, The Hague: Martinus Nijhoff, 1973, p.21.

التفكر Cogitato:

هذا المصطلح هو مصلح لاتيني في الأصل كان قد استخدمه "ديكارت" وكذلك اسبينوزا الذي جعله إحدى صفتين "لله" يمكن للعقل الإنساني بلوغهما، ونحن نعرف أن اسبينوزا كان يقول بأن "الله" هو فكر لا نهائي، ولذلك لا يمكن تعريفه لما كان جوهره "صفات لانهائية" "Infinite attributes"، وقد أخذ المصطلح معنى آخر عند هوسرل، حيث قصد به الوجود الواعي الذي يحياه المرء عن إدراك وتبصر لما يجربه ويخبره ويعايشه، فـ"الكوجيتاتو" أو التفكر يشمل جميع العمليات التي تتم من خلال الوعي، إنه حالات الوعي كما تتجلى أثناء تعليق الحكم.

"A cogitato, a consciousness, is every kind of sensing, presenting, perceiving, remembering, expecting, and every kind of judging, inferring, and every kind of feeling, desiring, willing, and so forth"[13].

أنا أفكر Cogito:

الأنا أفكر أو "الذاتية المتعالية" "Transcendental subjectivity" وكان قد استخدمه "ديكارت في صيغته الشهيرة "Cogito Argument" حينما ساقه لإثبات النفس أو الذات، وكان هوسرل قد أثنى على ديكارت لاكتشافه لها وقد وصف هذا الاكتشاف بأنه "خارق" ونجدها في عبارة "ديكارت" الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود" "Cogito ergo sum" رغم ذلك فإن هوسرل أخذ على الإدراج الديكارتي لها كونه جعله تجسيدًا للأنا بوصفها جوهرًا للتفكير بدلًا من إبقائها ضمن المجال المتعالي، وبالتالي جعله هوسرل يشمل جميع الأفعال التي تقوم بها الأنا لما كانت هذه الأنا أفكر بإمكانها القيام بها، وهي إذ تقوم بذلك فإنها تفعلها بوصفها تعيش في عملية وعي متواصل منتبهة متيقظة لما هي مقبلة عليه عن قصد، والأنا أفكر بذلك هي عملية ذهنية تمامًا وهي خلفية لوعي أفعال المرء بأسرها، غير أنها ليست ذلك الأفق الذي يجد فيه العالم الحسابي مكانًا فيه.

"If my cogito is moving only in the worlds pertaining to these new attitudes, the natural world remains outside consideration; it is a

13- Husserl, E., The Basic Problems of Phenomenology From the lectures Winter Semester, 1910-11, trans. Ingo Farin and James G. Hart), 2006, sec, 15, p.41.

background for my act- consciousness, but it is not a horizon within which an arithmetical world finds a place"[14].

الدوكسا أو الاعتقاد أو الرأي Doxa:

المصطلح في الأساس من أصل يوناني من "الفعل" "Dokein" الذي يعني يظهر ويبدو/ويقبل ويعتقد، وهو ضمن المصطلحات التي استعارها هوسرل من الفلسفة اليونانية، وكان أفلاطون قد وظفه في محاورته الفلسفية "جورجياس" "Gorgias" التي عرض فيها نقدًا للسوفسطائيين واصفًا إياهم بالمحذلقين في الكلام والخطابة أثناء محاولاتهم للإيقاع بغيرهم في شراكهم الجدلية، حيث يستخدمون المظهر "الدوكسا" الخطابي المرن مع الجماهير حتى يسوقوا الحجج لمصلحتهم دون مواربة أو خجل، وأشار في أيُما مرة بأن "الدوكسا" هي الاعتقاد الذي لا علاقة له بالعقل، ولذلك حينما تناول هوسرل هذا المصطلح عنى به ما هو موجود في "الإدراك القبلي البسيط وأشار إلى أنه يحظى بالحضور في البنى الاعتقادية، وكان يصوّر "الموقف الطبيعي" "The nature attitude" باعتباره مجال "الدوكسا" المرتبط بالعالم المحيط بنا، ولا يفهم من هذا أن "الدوكسا" تعد حكمًا قبليًا بالمعنى المألوف طبعًا.

"(Judgment prior to the conceptual significational expression), on the other side statement of judgment in the ordinary sense and, finally, doxa (belief [belief]), are matters which must be kept well separated."[15].

كما يجب أن لا يفهم لجهة البيان ولا التفسير.

"The idea of doxa is something different from that of statement or explication". [16]

المادة Hyle:

مصطلح يوناني آخر يستدعيه هوسرل من الفلسفة اليونانية للحياة من جديد، وكان قد استخدمه أرسطو تحديدًا لكي يشير به إلى المادة التي أخضعت للفعل وجرى تشكيلها بصورة ما، أي شُكلت على نحوٍ ما لتعطي صورة أو شكلًا من الأشكال، وقد وظفه هوسرل ليعني به الجزء الحسي وهو أحد الأجزاء الثلاثة المكونة للفعل العقلي ككلٍ تام، ومن المعروف أن الأفعال

14- Husserl, E, Ideas Pertaining to A pure Phenomenology and to A Phenomenology, p.55.
15- Ibid., Sec, 264, p.302.
16- Op.cit., Sec, 264, p.303.

الذهنية القصدية هي أفعال "غير حسية" "Non- sensory" وتختلف عن تلك الحسية المتمثلة في السمع والبصر والشم أو "Hyletic data"، أما "الأفعال الإدراكية" "Perceptual-acts" فلها مظهرٌ "نويطيقي" "Noetic" يستثني جميع المحتويات المادية من طبيعة الفعل، بيد أنها تتمتع بمرحلة حسية تميز الفعل على أنه حسي، فالمرحلة الحسية للفعل هي جزء من مكون محتوى الفعل، لكن ذلك لا يمنع من ارتباطها بأنماط مثل الإدراك والتذكر لما كانت تدور حول "الأنا"، فكل مادة تواجه الحواس لا يمنع أن يكون لها مظهرها "النويطيقي" الذي يتم بالفعل الإدراكي، فما اللون للشجرة والصورة التي تبدو عليها مثلًا إلاّ شيئًا من أفعالنا، وذلك عندما نقوم بإخضاعها لما عرفناه وخبرناه من قبل رغم أنها كيانٌ موضوعيٌّ يمكن اختباره بصورٍ شتى.

"The color of an object, its shape, and various other of its features are objects of our acts, and are experience in the way we experience physical objects. They are objective entities, experienceable by various subjects from various perspectives… shapes, colors, sounds, etc. Are perspected variables, Husserl says, as opposed to the perspective variations through which we are aware of them"[17].

ولذلك كل عملية واعية تتجه إلى أهدافها خاصة وأن الوعي منظورٌ إليه على أنه عملية تحديد مسبقة ومقصودة لتلك العمليات التي سيجري فيها توجيه المواضيع أو الأشياء، وحتى يحدث الوعي بالشيء أو الموضوع لابدَّ أن يتواصل إحساس ما بشيءٍ أو "مادة حسية" "Hyle" يُحسُ بها مع أحاسيس أخرى ربما حتى مع أحاسيس الآخرين، ولهذا السبب بالذات فإنه لا وجود لشكلٍ مقصود ولا فهم أو إدراك إلا وظيفته تقديم مغزى لأمر لم يكن له وليؤكد الوحدة القبلية لخبرتي وتجربتي التي يشاركني فيها الآخرون.

"There is no hyle, no sensation which is not in communication with other sensations or the sensations of other people, and for this very reason there is no morphe, no apprehension or apperception, the office of which is to give significance to a matter that has none, and to ensure the a priori unity of my experience, and experience shared with others"[18].

17- Follesdal, D. "Husserl's Theory of Perception" in Hubert L. Dreyfus with Harrison Hall (ed.), Husserl, Intentionality and Cognitive Science., 1984, p.p.93-4.

18- M.Ponty, Phenomenology of Perception.(C.Smith Trans). New York: Routledge, 2002, p.471.

فالمادة الحسية أو الـ"Hyle" مقصود بها المرحلة الحسية ضمن إطار نظرية هوسرل المتعلقة بالقصدية، ولذلك يطلق عليها أحيانًا "Hyletic data" للإشارة للمضامين الحسية لخبراتنا المقصودة.

القصدية Intentionality:

يعود هذا المصطلح في الأصل للفلسفة "السكولائية" "المدرسية" "Scholasticism"، وهي في أساسها من "Intentio" ويعني ما يُفهمُ منه أنه "عقلي" و"إدراكي"، وقد أعاد إليه "برنتانو" "F.Brentano" الحياة في كتابه "علم النفس من وجهة نظر تجريبية" "Psychologie vom empirischen standpunkte"، الكتاب الذي أثر على الفينومينولوجيا عمومًا والألمانية منها بشكلٍ خاص، ويوظف هوسرل المصطلح للتعبير عن الحالة الفردية الواعية في عمقنا الجواني والتي تعكس رغبتنا وإرادتنا من جهة ما نفكر فيه، فما يصدر عن وعينا يعبر عن قصدية توجهه نحو فعل ما، وما كان لشيءٍ أن يَصْدُرَ عنا ما لم يكن بالأساس موضوعًا قد حضر في وعينا كنتيجةٍ لقصد الوعي إليه، فلا قصدية إلا للموضوع الذي هو حاضر في الوعي، فالمرء في القصدية يكون وعيه قد توجه نحو ذاته وبما تنطوي عليه من مضمون، وهذا المضمون بدوره يُصاغ في صورةِ حكم، وهذا الحكم يكون تبعًا لقصد الوعي، فهو كلي إذا كان مقصد الوعي نحو الكلي، وجزئيٌّ إذا كان الوعي متجهًا نحو الجزئي، كذلك من حيث الكم والكيف للظاهرة، فإذا كان مقصد الوعي هو كم الظاهرة يكون حكمه نحو الكم، ويكون حكمه نحو الكيف إذا كان مقصده نحو كيف الظاهرة، أما إذا كان قصده متجهًا نحو علاقة ما بين الظواهر فإنه في هذه الحالة يكون شرطيًا، وهذا ما دفع هوسرل للقول بأن أهم ما يميز ويوحد الأفعال الواعية هو أنها مقصودة و"موجهة" "Directedness" عن وعي، ولذلك ساد القول المشهور الذي مفاده أن "كل وعيٍ هو وعي لشيءٍ ما، وكل قصدية هي خاصية أساسية في حياة الفرد النفسية وملكه الخاص ومتعلقة بكيانه الجواني:

"Intentionality, as a fundamental property of my psychic life, is a real property belonging to me, as a man, and to every other man in respect of his purely psychic inner being"[19].

19- Husserl.,E,. Cartesian Meditations, An Introduction To Phenomenology, Eng, Trans, Dorion Cairns, Springer Science, B.V, 1973, p.82.

فما نستطيع ملاحظته من وجهة نظر هوسرل عن القصدية هو أنها تبدو كبديل عن أي طرح لا يمكنه تفسير توجه الأفعال الموجهة إلى أشياء أو موجودات لا وجود لها، كما أنها مستندة على أساس أن قصدية الفعل الواعي ناشئة عن بنية الفعل التي تنطوي على مكونات متعددة، فضلًا عن كونها ليست معنية بالوضع "الأنطولوجي" للشيء أو الموضوع المقصود.

الحياة اليومية Life-world:

والمقصود بهذا المصطلح تلك الحياة التي تُقضى في ظل "الوعي" "Consciousness" الفردي للمرء، إنها عيش الحاضر وممارسة للحياة في اللحظة الحاضرة انطلاقًا من كونها تجربة مقبل عليها المرء في ضوء تجربة سابقة كان قد عايشها، فكل نقطة زمنية يعيشها المرء لها ما يسبقها وما يليها ولا انقطاع بين السابقة واللاحقة كما لو أنها تسلسل متتالي ونقطة تلاقيها تكمن في الفرد الذي يعايش هذا التسلسل بفضل وعيه له، وهي الفكرة التي ربما يكون هوسرل قد استفادها من "ديلثي" "Dilthey" الذي كان يقول بالترابط الموحد للحياة الواعية "Lebenszusammenhang" أو عالم التجربة الحية والمباشرة، إنها تجربة الوعي إذا نظرنا إليها من جهة الوعي، وتجربة الحس إذا نظرنا إليها من جهة "البدن" "Leiblich" من منطلق اعتبار أنه صورة من صور وجودنا في العالم.

"It is this world [the pregiven world] that we find to be the world of all known and unknown realities. To it, the world of actually experiencing intuition, belongs the shape of space-time together with all bodily shapes incorporated in it; it is in the world that we ourselves live, in accord with our body (Leiblich), personal away of being. But here we find nothing of geometrical idealities, no geometrical space or mathematical time with all their shapes"[20].

الشكل المقصود Morphe:

مصطلح يوناني آخر تبناه هوسرل نجد أثرًا له عند "أرسطو" "Aristotle" أيضًا، وذلك حينما كان بصدد تقديم تعريف للعلل الأربع "Aitia" موضحًا كل علة منها من خلال مثاله

20- Hussrel, E., The Crisis of the European Sciences and Transcendental Phenomenology. An introduction, Dermot Moran, Cambridge University Press, 2011, p.249.

الذي قدمه عن "تمثال البرونز" "Bronze statue" الذي تبين فيه أن اندماجًا تامًا بين "المادة" و"الشكل" يحدث ليتشكل على أثره التمثال الذي يحمل المضمون والصفات والمظهر المقصود، كذلك يرى هوسرل في "المورفي" "Morphe" من أنه الخبرة البصرية من كونها تمثل اندماجًا أو انصهارًا بين "المادة" التي تمثل احساسًا و"الصورة" كونها شكلًا.

وعليه، فـ"المورفي" "Morphe" أي الشكل المقصود يتوقف على "الهايل" "Hyle" أي "المادة الحسية" والعكس، فالعلاقة بينهما هي الأساس الذي بواسطته يستقيم للوعي أن يكون حياةً تُعاش في قصدية الفعل، وهو الفعل الذي من خلاله يمكن معايشة أو اختيار العالم على المستوى المتعالي، وطبيعة هذه العلاقة محكومة بقيام الفعل الواعي بتحريك "المادة الحسية" مع "الشكل المقصود" فينتج عن ذلك إحساسٌ، وعليه، ليس هناك ما يمنع أن تكون "المادة الحسية" قد أُسبغ عليها الحس ومن ثم تعد فعليًّا جزءًا من الوعي.

"According to Husserl, the constitution of an object takes place when a conscious act animates hyle with a morphe, thereby endowing it with sense, it is possible that hyle is "already" endowed with sense because it must count as a reell part of consciousness"[21].

إن ما يمكن أن نستنتجه من هذه العلاقة التي بين الشكل المقصود والمادة هو أن علاقتهما غير قابلة للانفكاك لحدٍ يجعلنا نقول بوحدة بينهما لدرجة يتوقف فيها وجود إحداهما على الآخر، وهذا يذكرنا ببحث تلك الثنائية المتلازمة القائمة بين المادة والشكل أو الصورة في عرف الفلسفة اليونانية، بحيث قام هوسرل بدمجها في بوتقة واحدة تمثلت في الوعي المطلق والنهائي والمُقوِم الأصلي، وبذلك يكون قد حلَّ مشكلة هذه الثنائية من وجهة نظره في طرحه الفينومينولوجي، ولذلك حينما قدم وصفًا لعلاقة التضايف القائمة بين الفعل المعرفي العقلي "النويطيقا" "Noetic" والموضوع المقصود "النويماطيقا" "Noematic" والأنا التي بينهما في ضوء "الشكل المقصود" "Morphe" و"المادة الحسية" "Hyle"، من حيث كون الأولى (فكرًا) مقصودًا والثانية (إحساسًا) غير مقصود، رأى بأن كليهما مكونان موجودان فعليًا لكل إدراك أو خبرة مُعاشة.

"Husserl describes the noetic-noematic correlation in terms of an intentional morphe or form (thought) and a non-intentional hyle or matter

21- L. Lawlor., Derrida and Husserl, The Bsic Problem of Phenomenology, Indiana University Press, 2002, p.72.

(sensation), both of which are reell components of every lived experience or perception"[22].

النويسس والنويما Noesis-Noema:

النويسس والنويما هما مصطلحان متضايفان قدمهما هوسرل في كتابه "الأفكار" "Idea" يتعلقان بـ"الفعل القصدي" "Intentional act" ويؤسسان لتوجيه فعل الوعي، وما يجعل من الفعل مقصودًا هو الارتباط الظاهري بين الـ "نويسس" "Noesis" والـ "نويما" "Noema".

أقرب معنى دقيق للـ"Noesis" هو أنه يعني "المضمون الواقعي" للتجربة، وهذا المضمون متعلق بالإدراك الباطني للموضوع الذي هو متعلق بتجربةٍ ما، أي أن الـ "Noesis" يبدو كفعل ردّي بالنظر إلى علاقته بـ"الإبوشية" "Epoche"، وهذا يمكن فهمه من عرض هوسرل له في مؤلفه المذكور آنفًا، ولابدَّ هنا من أن نلفت النظر إلى أننا حينما نقول "فعلٌ ردّي" فإننا نعني به كما لو كان "كيانا مثاليا" يمكننا بلوغه من خلال ما يطلق عليها هوسرل "الأفعال الإنعكاسية للوعي" "Reflexive acts of consciousness"، ويحدث ذلك لهذا الفعل بعد اصطباغه بـ"التجربة الردّية" أو المختزلة، ولذلك نجد هوسرل يعتبر الـ "Noesis" أو الفعل القصدي من جملة المكونات المصاحبة "للأنا المتعالية" "Transcendental Ego"، ولا ينبغي أن يفهم من هذا السياق أن هوسرل ينأى بالـ "Noesis" تمامًا عن المعنى الحسي رغم أنها في أساسها الاشتقاقي الأبعد تعود لـ "Nous" الذي هو العقل، حيث نجد في مؤلفه المذكور ذاته ما يُشير إلى ذلك عندما قال بأن الـ "Noesis" في أحد معانيها تُذكر بما يفهم منه الدلالة والمعنى والاحساس "Sinn".

"At the same time, it is not unwelcome that the word, nous, recalls one of its distinctive significations, namely precisely "sense", although the "sense-bestowing" which is effected in the noetic moments comprises many different things and only as foundation "comprises" a "sense-bestowing" following upon the pregnant concept of sense"[23].

والثابت، أنه قد يُفهم من هذا أن السمة النظرية للأفعال الإدراكية ربما ترتبط على نحوٍ ما بالحس لـ "Noesis".

22- Ibid., p.72.

23- Husserl, E, Ideas Pertaining to A pure Phenomenology and to A Phenomenology. An introduction, p.205.

أما "النويما" "Noema" فتعني تلك "المضمونات الواقعية" المتواجدة في الشعور، ويرى بعض المهتمين بالفينومينولوجيا الهوسرلية بأن لها دورا حاسما في فهم نظرية هوسرل عن القصدانية، خاصة وأن هوسرل يعتقد أن الأفعال موجهة بالأساس إلى الـ "Noema" بدلًا من الموضوعات، فكل موضوع مصطبغ بالنويما أي مضمونه "قصداني" بالنظر إلى علاقته بالتجربة، وعليه فكل تجربة لها تضايف موضوعي بالدرجة التي تُفهم منها بالضرورة أن كل موضوع هو مقصود أولًا وأخيرًا، والنويما تتعدد فتصير "نويمات" "Noemata" وتعدُدها هذا يجعل من الموضوع المقصود مجموعة من الأجزاء "نويماطيقية"، ومن ثم تعمل هذه "النويمات" على تقديم الموضوع بصورة أكثر تفصيلًا، ويُفهم من هذا أن "النويما" تحمل آلية يمكنها تفصيل الموضوع لدرجة تجعله أكثر تنوعًا بصورة "أُفقية"، وبما أنها كذلك، لذا يقول هوسرل بـ"النويما الكاملة" وهي التي إلى جانب اتساعها الأفقي تتضمن عمقًا، وهذا العمق يتمثل في ما تتضمنه "النويما الكاملة" بما سماها هوسرل "اللحظات" والتي هي التحديد أو التخصيص النظري "Thetic" والتضايف النويماطيقي لـ"كيفية الفعل" "Act- equality" والمدلول أو المعنى النويماطيقي والذي يُمثل في استعاب "مادة الفعل" "Act-matter"، على أن كل ما يقبل التعيين أو التحديد من "X" هو اللحظة الأعمق من "النويما"، مع ملاحظة هنا أن الـ"X" هو الحرف الذي وظفه هوسرل للدلالة على لحظة العمق هذه من "النويما الكاملة".

بقي أن نشير إلى أن "النويما" تحتل مكانة الوسط بين الوعي والشيء المقصود، وأن كل فعل يصير مقصودًا بواسطتها، وأن السمة المقصودة للنويما تتعزز بفضل حقيقة كونها تعمل دومًا على تحديد موضوع الفعل، وكل ما نريده هو أن نفهم كيف يتم توجيه الأفعال نحو المواضيع، وهذا ما كان ينبغي أن تقوم به فكرة هوسرل عن النويما، لكي يتسنى لنا تعريفها بوصفها كل سمات الفعل تلك التي بفضلها يكون له موضوعه.

"We want to understand how it is that acts are directed towards objects. Husserl's notion of the noema is supposed to do this. Indeed, we could define the noema as all those features of the act in virtue of which it has the object it has"[24].

24- F. Dagfinn, "Noema and Meaning in Husserl" Philosophy and Phenomenological research, 1990, p.p.263-71.

النويطيقا والنويمطيقا Noetic- Noematic:

يعد هذا المصطلح من المصطلحات المعقدة وهو في الأصل مستمد من مصطلح "النوس" "Nous" الذي يعني العقل والاستدلال الذي يفهم منه التبصر العقلي والفكر الحدسي، والموجود البشري وحده يتميز بممارسة ذلك إلى جانب أنه يتمتع بالقدرة على التصور العقلي بمعزل عن حاسة الشعور أو الانخراط في التجربة، وهذه ما يطلق عليها "هوسرل" بـ"النويطيق" "Noetic" أي ما لم تتم معرفته إلا بالعقل وحده، وعليه فإن ما هو "نويطيقي" يعني به هوسرل ذلك الفعل المعرفي العقلي، وهو يُعد واحدا من ثلاثة أجزاء من الفعل العقلي من حيث كونه كلًا تامًا.

ولما كان فعلا معرفيا عقليا فهو متجه نحو ما نصفه على أنه "موضوع" "Object"، وأن هذا التوجه نحو الموضوع هو ما نعتبره "القصدية"، وهذه القصدية بطبيعة الحال متضمنة للـ"الأنا" خصوصًا وأن لا فعل قصدي بدون "أنا" قصدته، فإنه من ثم لا قصدية دون أن يكون هناك "مقصود"، وهذا المقصود هو "الموضوع" المتجهة نحوه قصد الأنا القاصدة وهو ما أطلق عليه هوسرل "النويماطيق" "Noematic"، والذي يُعد أحد الأجزاء الثلاثة للفعل العقلي ككلٍ تام.

وعلى ما تقدم يمكننا القول بأن علاقة الـ"Noetic" بالـ"Noematic" هي علاقة "تضايف" "Correlation"، بالصورة التي لا يحضر فيها الـ "Noetic" بدون الـ "Noematic" وحضورهما محكوم بما يحكم علاقة التضايف التي يعقل فيها كل واحد منهما بالقياس إلى الآخر، ذلك أن أي موضوع يكمن في الوعي وليس خارجا عنه، وموضوع الوعي هو المكون الأصلي الذي يشكل التجربة المقصودة وتتقوم به.

"Noetic-noematic structure, is to be systematically explicated and established in respect of those modes of intentional flux that pertain to it, and in respect of their horizons and the intentional processes implicit in their horizons; and so forth"[25].

ويمكن توضيح ارتباط كل مصطلح منهما بمجال عمليات يخبرها الموجود البشري في حياته اليومية، فمثلًا الـ "Noetic" يرتبط أو يدور جول أنماط "الأنا" ذاتها وأنماط وعيها مثل الإدراك والتذكر وغيرها، أما الـ "Noematic" فيرتبط بأنماط رئيسية في الزمان وهي الحاضر والماضي والمستقبل.

25- Husserl, E., Cartesian Meditations: An Introduction to Phenomenology, p.51.

"The 'Subjective'-temporal modes, being present, past, or future. This line of description is called noematic. Its counterpart is noetic description, which concerns the modes of the cogito/ itself, the modes of consciousness (for example: perception, recollection, retention), with the modal differences inherent In them (for example: differences in clarity and distinctness"[26].

الإدراك Perception:

أن يدرك المرء يعني أن يعرف ويستوعب شيئًا ما فوق ما يتم إدراكه بالفعل، كأن نقول بمفاهيم وتصورات هي جزء من أخرى أعم منها وأشمل، وهو تصور لشيءٍ مُدرك من حيث ماهيته أو جوهره فهو افتراض ما يبدو أو يتجلى أمامنا بذاته وصفاته على أنه وجود لشيءٍ ما نعتقد أنه حقيقة قائمة.

"Perception in itself is perception of a perceived, its essence is to bring some object to appearance and to posit what appease as something believed as an existing actuality"[27].

فالمرء إذن لا يكفيه عقله لوحده حتى يدرك كما كان يرى نيتشه بل يحتاج زيادة عقلية فوق عقله:

"One must have superfluous intellect in order to perceive"[28].

إن غياب الإدراك هو حضور لغياب المعرفة أو الجهل وفقًا لما يُفهم من أرسطو، لِما ذكره في بحثه "في النفس" "De Anima" حينما جعل من الإدراك إلى جانب التجربة كعاملين يخطان على النفس التي صورها بلوحة الشمع الناعمة فتكتسب بعد ذلك المعرفة، وقد جعله هوسرل ضمن ثلاثة أنماط يجري من خلالها توضيح مظاهر التحقيق الفينومينولوجي والتي هي الإدراك والخيال والحمل أو الاسناد، وضبط معرفتها وتمييز أدوارها يشكل ما يطلق عليه هوسرل "التحليل الأنسابي للمظهر"، لذلك أولاه هوسرل عناية خاصة تجلت في تمييزه بين نوعين من الإدراك: الأول "إدراك داخلي" "Inner perception" أو الإدراك الباطن، والثاني "الإدراك

26- Ibid., p.36.

27- Hussrel, E. Ding und Raum, Hua XVI (Thing and Space. Lectures of 1907, Eng Trns, R, Rojcewicz), 1973, p.118.

28- F. Nietzsche, Twilight of the Idols and The Antichrist, Eng Trans, by Thomas Common, Dover Publications, Inc, Mineola, New York, 2004, Sec, 49, p.117.

الخارجي" "Outer perception"، وقد تبنى ذلك من علم النفس، أما الإدراك العادي والمألوف فإنه يتألف من قصديات لا حصر لها، فبعضها إدراكي، والآخر مجرد خيال، وأخرى مجرد دلالية، إلا أن الإدراك بالمحصلة يمكن القول بأن أفعال الوعي جميعها تتضمن ما يخبره المرء من إدراك، وفي نظر هوسرل أن جميع المدركات تتم بثلاث نقاط محورية متمثلة في ما نراه وللطريقة التي نرى بها وكيفية رؤيتنا له وطرحه أساسًا المتعلق بما نراه يتجلى من خلاله أن الهدف الأساسي للإدراك هو الأشياء الشائعة أو العامة، وتلك الأشياء التي نعتقد أننا نراها في معظم الوقت وهي ماثلة أمامنا بذاتها وصفاتها، وبهذا الخصوص رأى بعضهم أن هوسرل قد اتسم بواقعية ساذجة، لكن ربما يُرفع عنه اللوم حينما نتذكر أن ما يطلق عليه هوسرل بـ"المحتوى الإدراكي" يتوسط التصور المباشر والصريح للأشياء الشائعة.

"Husserl's description of perceptions fall under three headlings: what we see, the way we see, and how we see. His central thesis concerning what we see is that the primary object of perception is public things, the things we all think we see most of the time, which stand before us in propria persona. In this respect Husserl is decidedly "a naïve realist". But he also wants to claim that this direct, straightforward perception of public things is mediated by what he calls perceptual content"[29].

الرد الظاهري "الفينومينولوجي" Phenomenological Reduction:

الرد حرفيًا يعني العودة والرجوع، وهو أحد المفاهيم المركزية الظاهرية الهوسرلية المرتبطة بعملية ارتقاء الوعي من الموقف الطبيعي، ونجد له جذورًا فلسفية في "الشك الديكارتي" "Cartesian doubt"، ويكمن الرد الفينومينولوجي في إدراك أن للوعي أسبقية الوجود الموضوعي، بحيث يتم رد الأشياء إلى ظواهر ومن ثم تعليق المناقشة بشأنها (بين قوسين) في صورة انتقال واضح من الموقف الطبيعي لها إلى ذاك المتعالي، ولذلك رأى هوسرل أن يطلق عليه "الرد الفينومينولوجي المتعالي".

"The characterization of the phenomenological reduction and, likewise, of the pure sphere of mental processes as "transcendental"[30].

29- Mulligan, K. "Perception" in Barry Smith and D. W. Smith (ed.), The Cambridge Companion to Husserl, 1995, p.169.

30- Park. B, Phenomenological Aspects of Wittgenstein's Philosophy, Springer Science,1998,p.43.

ويحظى الرد الفينومينولوجي عند هوسرل بدور قبلي تأسيسي من خلاله كل تَقَوُّم سيفترض بالضرورة بصورة قبلية بدونها لن تكون هناك وحدة تركيبية ممكنة للعالم على الإطلاق، إذ إنه ينقلنا من الظواهر الطبيعية بما هي عليه لذلك الجانب الذاتي الذي يركز على تجارب الوعي ذاتها، ولذلك يصح القول إن الذات "الأنا" من خلاله تنتقل من كيانها العادي إلى فهم "طبيعتها المتعالية" "Transcendental nature"، وهذا ندركه بجلاءٍ حينما ينتقل تفكير الأنا من التجارب المُعاشة من حيث شكلها الفردي إلى تبيان أو تعقل جوهرها، ولهذا فإن الرد الفينومينولوجي يكشف عن الوعي الخالص إلى جانب أنه يأخذ المكونات التجريبية للوعي من "التقويس" أو ما تم تعليقه ووضع بين قوسين، بحيث لم يعد هناك وجود للذات التجريبية وظواهر حياتها الذهنية موضع للاهتمام، وبالتالي يجري الكشف عن بنية الوعي بالنظر للذات وموضوعها أو ما يتعلق بالفكر وموضوعه.

أما ما نستفيدهُ من الرد الفينومينولوجي هو أننا حتى لو كنا عقلًا مطلقًا فإننا محكومون بزمانية ومكانية تطوقان فكرنا وتأملاتنا، وبالتالي وكنتيجةٍ لذلك فإن الرد الفينومينولوجي التام هو في حكم الاستحالة أو عدم الإمكان.

"The most important lesson which the reduction teaches us is the impossibility of the complete reduction. If we were absolute mind, the reduction would present no problem"[31].

شبه المقولة Proto-Category:

لا يستقيم فهم مقصد هوسرل بشبه المقولة حتى نفهم بداية المقولة ذاتها، فنقول بأن المقولة على النحو الذي يرمي إليه هوسرل لها في ذاتها معنى قائم مستقل، فكل موضوع هو مقولة بذاتها مستقلة عنا سواء أدركناها أم لم ندركها، وتكون مستقلة تمامًا عندما تشكل فعلًا تامًا بذاته يرمى لمعنى، والحال ليس كذلك إن لم يُفَعل يكن الفعل تامًا بذاته ولا يحكم باستقلاليته.

"A meaning accordingly, may be called 'independent' when it can constitute the full, entire meaning of a concrete act of meaning, 'non independent', when this is not the case"[32].

31- Toadvine. T, & Embree. L, Merleau Ponty's Reading of Husserl, Kluwer Academic Publishers, London, 2002, p.127.

32- Husserl, E., b. The Shorter Logical Investigations, Eng Trans, J.N. Findlay, Routledge, London & New York, Dermot Moran, 2001, IV, p188.

وهنا يتفق مع "كانط" "Kant" الذي كان يرى بأن الوجود ليس مسندًا أو محمولًا ولا هو خاصية للكائن الفرد أو الشيء الموجود، فالموجودات أو الأشياء الموجودة تتمتع بخاصياتها التي ليست لها علاقة بالفرد إلا من جهة حواسه وحدوسه، وبالتالي، يمكنه تأكيد وجود الشيء أو الموضوع بيدَّ أن هذا التأكيد لا ينطوي على الإدراك التام لخاصية هذا الموضوع أو الشيء الموجود ذاته، ولا يحدث فينا بمجرد التأمل في فعل الوعي كما اعتقد بعضهم، وذلك لأن بنية أي مقولة تتوقف على بنيتها المثالية من حيث موضوعها.

"Saying that something is does not give us an intuition of a new property in a manner similar to learning 'something red'. But for Husserl this shows that assertion of the category of being does not involve grasping a property or the object itself. Nor does it emerge from reflecting on the act of consciousness as some had thought, rather the categorical structure belongs to the ideal structure of the object, to the objectivity as such"[33].

ومما لاشك فيه هنا أن الأثر المثالي "الأفلاطوني" يبدو جليًا على هوسرل، كما لا تخلو رؤيته أيضًا من التأثير "الكانطي" عليه.

وعليه، فإن شبه المقولة تفيد معنى غير مستقل عن الفرد المُدرك لها، وهي ترتبط بالصفات التي تبدو من الموجودات أو الأشياء الظاهرة، ومن ثم فإن مجالها مادي حسي صرف، ويحصل أن تتعدد غير أن تعددها لا يدل بحال من الأحوال على تعدد المقولات ذاتها، ذلك لأن للمقولات مثاليتها التي ترقى بها كمًا وكيفًا عن أشباه المقولات، فموضوع أو شيء ما هو مقولة في الجسم الذي يبدو أو يظهر على أنه شبه مقولة، ولذلك قيل بأن كل جسم موضوع وليس كل موضوع جسمًا.

الخاتمة:

مما سبق نستنتج أن مصطلحات فلسفة ما هي بالفعل مفاتيح لأبوابها الموصدة، وما لم يتيسر الوقوف على مغازي تلك المصطلحات ومراميها فلن يحصل الفهم الكامل المتكامل لمقاصد تلك الفلسفة، ومن هنا تكتسب المصطلحات أهميتها التي لا تقل عن أهمية الفلسفة

33- Moran, D. Husserl Founder of Phenomenology, Polity Press 65 Bridge Street, Cambridge CB2 1UR, UK, 2005, p.129.

المتضمنة لها ذاتها، ويصير كل مصطلح يحمل معرفة يمكن الوقوف على تماسكها، وفهمه هو فهم ما يتضمنه من أفكار ورؤى يحملها تبرهن على ما تنطوي عليه تلك المعرفة، ومن ثم، فإنه بالفعل كما قيل بأن فهم مصطلحات علم ما هو فهم لنصف هذا العلم، فكذلك يمكن أن يقال بأن فهم مصطلحات فلسفة ما هو فهم لنصف ما تُفلسف له تلك الفلسفة.

إن ما تتسم به مصطلحات الفلسفة الفينومينولوجية الهوسرلية هو تركيزها على الظاهرة أو المظهر وعلاقته بالذات، أي أنها تتسم بـ"حركة مزدوجة" متبادلة، وهذه الحركة ذات بعد داخلي أي داخل الذات، وأخرى بعدها خارجي أي خارج الذات متعلق بالموضوع الذي يقع في دائرة تركيز الذات، حركة من الذات نحو الموضوع أي من الداخل نحو الخارج وبالعكس وطابعها الذي يميزها أنها لا تفتر تتقوم بالخبرة الشخصية المسنودة بـ"الأنا"، لذلك فهي تعمل على التداخل النسيجي الذي بين الذات والظاهرة المراد وصفها، وعليه فوصف ظاهرة يكفل بعث حياة فيها تعمل على إظهار جوهرها وتجلية حقيقتها، مع احتفاظ الظاهرة لما هي عليه بصورة تكفل وصف تجربة الذات معها، وهذا يعمل على الفهم والتفريق بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي من خلال معالجة التشابك الحاصل بينهما.

لقد برهنت المصطلحات الفينومينولوجية الهوسرلية أنها تتعدى فلسفتها بحيث يمكن توظيفها في المجال العلمي التطبيقي، وذلك لما كانت تدور على التجربة وعلى تماس مع الحدس وملتزمة بالتفكير الجاد بما يضمن اصدار حكم، وهذه جميعًا تقريبًا هي الأدلة الأولية والأساسية التي يسعى إليها البحث العلمي.

وتظل دراسة المصطلحات الفلسفية شيقة لما لها من دور في كشف المخبوء الذي تتضمنه الأفكار، والرؤى التي وظفت لتمريرها، أيضًا لتأخذ على عاتقها مهمة الوصول إلى المتخصصين بصورة سلسة تتضمن الدقة والوضوح ويجري قبولها من طرف الأوساط التي تعنيها، وفي تقديري هذا جهد يقتضي التعاون وتبادل الرؤى والخبرات بين المتخصصين في المجال الأكاديمي على نحوٍ خاص، لما لذلك من مردود إيجابي من شأنه العمل على تطوير دراسة المصطلحات الفلسفية بشكل عام.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

1- Husserl, E., b. Logische Untersuchungen, Hua XVIII, XIXl1 and XIXl2 (Logical lnvestigations, trans. J. N. Findlay, ed. D .. Moran, Routledge, 2001.

2- Husserl, E., b. The Shorter Logical Investigations, Eng Trans, J.N. Findlay, Routledge, London & New York, Dermot Moran, 2001.

3- Husserl, E., Cartesian Meditations: An Introduction to Phenomenology, translated by Dorion Cairns, The Hague: Martinus Nijhoff, 1973.

4- Husserl, E., The Basic Problems of Phenomenology From the lectures Winter Semester, 1910-11, trans. Ingo Farin and James G. Hart), 2006.

5- Hussrel, E., a.(Logical investigations, Eng, Trans, J.N.Findlay, Rourledge, London & New York, VI, 2001.

6- Hussrel, E., Ding und Raum, Hua XVI (Thing and Space. Lectures of 1907, trans. R. Rojcewicz), 1973.

7- Hussrel, E., Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy. First Book, Eng trans by F.Kersten, 1983.

8- Hussrel, E., The Crisis of the European Sciences and Transcendental Phenomenology. An introduction, Dermot Moran, Cambridge University Press, 2011.

9- Hussrel, E., The Paris Lectures, Eng Trans by, P. Koestenbaum, Kluwer Academic Publishers, London, 1998.

10- Meloeau Ponty. M. Phenomenology of Perception. (C.Smith Trans). New York: Routledge, 2002.

ثانيًا: المراجع.

1- Creswell, J. W. Qualitative inquiry and research design: Choosing among five traditions. Thousand Oaks, CA: Sage, 2007.

2- Dagfinn “Noema and Meaning in Husserl”, Philosophy and Phenomenological research, 1990.

3- Davis, K. The phenomenology of research: The construction of meaning in data analysis. Paper presented at the annual meeting of the Conference on College Composition and Communication, 1991.

4- F. Nietzsche, Twilight of the Idols and The Antichrist,Eng Trans,by Thomas Common, Dover Publications, Inc, Mineola, New York, 2004.

5- Follesdal, D "Husserl's Theory of Perception" in Hubert L. Dreyfus with Harrison Hall (ed.), Husserl, Intentionality and Cognitive Science. Follesdal, 1984.

6- Freire Paulo, Pedagogy of the Oppressed trans. Myra Bergman Ramos. Continuum Publishing: New York, 1970.

7- Kung, Guido, "The Phenomenological Reduction as Epoche and Explication" in Elliston, Frederick A and MC Cormick, P (ed.) Husserl, Expositions and Appraisals, 1977.

8- L. Lawlor., Derrida and Husserl, The Bsic Problem of Phenomenology, Indiana University Press, 2002.

9- Moran, D. Husserl Founder of Phenomenology, Polity Press 65 Bridge Street, Cambridge CB2 1UR, UK, 2005.

10- Mulligan, K. "Perception" in Barry Smith and D. W. Smith (ed.), The Cambridge Companion to Husserl, 1995.

11- Park. B, Phenomenological Aspects of Wittgenstein's Philosophy, Springer Science, 1998.

12- Scheler. M. The nature of sympathy. (P.Health, Trans). London: Routledge and Kegan Paul, 1954.

13- Sokolowski, R. Introduction to phenomenology. Cambridge Cambridge, 2000.

14- Spiegelberg, H. The phenomenological movement: A historical introduction. Boston: Martinus Nijhoff, 1959.

15- Toadvine. T, & Embree. L, Merleau Ponty's Reading of Husserl, Kluwer Academic Publishers, London, 2002.